أساليب الأنبياء في مواجهة دعاة الإلحاد من خلال القصص القرآني

The Methods of the Prophets in Confronting the Advocates of Atheism Through Quranic Narratives

علي صالح عبد الله عدلان [1]

Ali Saleh Abdullah Adlan

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.120

(1) الاستاذ للتفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة إقليم سبأ

عنوان المراسلة : (dr.aliadlan@gmail.com)

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة أساليب الأنبياء في مواجهة دعاة الإلحاد من خلال القصص القرآني، حيث يهدف إلى استعراض منهجية الأنبياء في دعوة الملحدين عبر الحوار، والإقناع بالأدلة العقلية، ودحض الشبهات. يبدأ البحث بمدخل يوضح مفهوم الأسلوب، والإلحاد، مع الإشارة إلى استعمالات لفظ الإلحاد في القرآن الكريم، ويستعرض تطور الإلحاد عبر التاريخ. وينقسم إلى ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: يتناول الحوار مع دعاة الإلحاد باللين والمجادلة بالحسنى، كأسلوب اتخذه أنبياء الله في دعوة الجاحدين، وتذكيرهم بعواقب الكبر، مع تأكيد القرآن على وجوب المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة أولا. وفي المبحث الثاني: يبرز أهمية الإقناع بالأدلة العقلية، كدليل الفطرة الذي يستند إلى الإيمان الغريزي بالله، ودليل الخلق الذي يعكس انتظام الكون ودقته، وفي المبحث الثالث: تصدى لدحض الشبهات التي يثيرها الملحدون، عبر نماذج عملية، كتفنيد إبراهيم وموسى عليهما السلام لادعاءات النمرود وفرعون، مع ربط هذه المواقف بالإلحاد الحديث لبيان تشابه الشبهات واختلاف الأساليب في دحضها.

يخلص البحث إلى أن أساليب الأنبياء التي ذكرها القرآن تظل منهجا، ومرجعية أساسية لمواجهة الإلحاد، عبر الجمع بين العقل والقلب، والحوار الموضوعي، مع ضرورة تطوير الخطاب الدعوي المعاصر لمواكبة تحديات العصر.

الكلمات المفتاحية: أساليب الأنبياء، مواجهة الإلحاد، الحوار، الأدلة العقلية، دحض الشبهات، القصص القرآني.

Abstract

This research examines the methods of the prophets in confronting atheism through Quranic narratives, aiming to explore their approach in calling atheists to faith through dialogue, rational arguments, and the refutation of misconceptions.

The study begins with an introduction clarifying the concepts of "method" and "atheism," along with references to the usage of the term "atheism" in the Quran, and traces the historical evolution of atheism. It is divided into three sections:

Section One: Addresses the approach of engaging with atheists through gentle dialogue and courteous debate, as employed by the prophets in calling deniers to faith and reminding them of the consequences of arrogance. The Quran emphasizes the necessity of debate with wisdom and kind admonition as a primary method.

Section Two: Highlights the importance of rational evidence in persuasion, such as the innate disposition (Fitrah) argument, which relies on the instinctive belief in God, and the argument from creation, which reflects the precision and order of the universe.

Section Three: Focuses on refuting the misconceptions raised by atheists through practical examples, such as the rebuttals of Prophet Ibrahim (Abraham) and Prophet Musa (Moses) (peace be upon them) against the claims of Nimrod and Pharaoh. These instances are linked to modern atheism to demonstrate the similarity of misconceptions and the varying methods of refutation.

The research concludes that the methods of the prophets, as mentioned in the Quran, remain a fundamental framework and reference for confronting atheism by combining reason and heart, along with objective dialogue. It also underscores the necessity of developing contemporary da'wah (Islamic outreach) discourse to address modern challenges.

Keywords: Methods of the Prophets, Confronting Atheism, Dialogue, Rational Arguments, Refuting Misconceptions, Quranic Narratives.

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسله بالحق والهدى ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أعظم التحديات التي واجهتها دعوات الأنبياء عبر التاريخ هي الإلحاد وإنكار وجود الله، وهو تحدٍّ يتكرر بأشكال مختلفة في كل زمان ومكان. وقد اتسمت دعوات الأنبياء بمنهجية فريدة تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، مع اعتماد الحوار والإقناع لإزالة الشبهات.

في ظل انتشار الإلحاد الحديث بأشكاله الفلسفية والعلمية، بات من الضروري دراسة أساليب الأنبياء في مواجهة هذا الفكر، لكونها نموذجًا دعويًا خالدًا يمكن استلهامه للتعامل مع هذا التحدي. ومن هنا جاء هذا البحث ليبرز المنهج القرآني في توجيه الأنبياء لمواجهة الإلحاد.

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة البحث في السؤال الآتي:

كيف واجه الأنبياء دعاة الإلحاد، وما الأساليب التي اتبعوها في الدعوة إلى الإيمان بالله، وكيف يمكن الاستفادة منها في التعامل مع الإلحاد الحديث؟

أهمية البحث

1. تسليط الضوء على المنهج القرآني في مواجهة الإلحاد.
2. إبراز أهمية الحكمة والحوار في دعوة الملحدين.
3. توجيه الدعوة الإسلامية نحو اعتماد منهج الأنبياء كأداة لمواجهة التحديات الفكرية.
4. إثراء الدراسات الدعوية بوسائل عملية مستمدة من التجربة النبوية.

أسباب اختيار البحث

1. انتشار الإلحاد الحديث وتزايد شبهاته الفكرية والعلمية.
2. الحاجة إلى منهج دعوي قرآني يعالج الظاهرة من جذورها.
3. اهتمام الباحثين المتزايد بدراسة الأساليب النبوية الدعوية.
4. قلة الدراسات التي تجمع بين القديم والحديث في موضوع الإلحاد.

أهداف البحث

1. تعريف الإلحاد وبيان تاريخه من منظور قرآني.
2. تحليل أساليب الأنبياء في مواجهة الإلحاد كما وردت في القرآن الكريم.
3. تقديم حلول عملية للتعامل مع دعاة الإلحاد في العصر الحديث.
4. ربط الأدلة العقلية والنقلية في دعوة الملحدين.

حدود البحث

1. الحدود الموضوعية: دراسة أساليب الأنبياء فقط في مواجهة الإلحاد.
2. الحدود الزمنية: تحليل الإلحاد القديم والحديث دون التطرق إلى تفصيلات الفلسفات الحديثة.
3. الحدود المنهجية: التركيز على المنهج القرآني والأساليب الدعوية.

منهجية البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة أساليب الأنبياء في مواجهة الإلحاد، عبر القصص القرآني، وذلك عبر تحليل الأساليب القرآنية للأنبياء، (وصفا واستقراء) وربطها بتحديات الإلحاد المعاصرة.

الدراسات السابقة

1 ـ شبهات الإلحاد الحديث في ضوء القرآن والسنة، د. منقذ بن محمود السقار، السعودية. والدراسة تقدم ردودا قرآنية وعلمية على الشبهات الإلحادية المعاصرة مع الاستدلال بالنصوص الشرعية.

2ـ منهج القرآن في دحض شبهات الملحدين المؤلفة، د. أفنان بنت حمد العتيبي، السعودية. وهي دراسة موضوعية تحليلية للآيات القرآنية الردية على الإلحاد، وتصنيف الشبهات الإلحادية وأنواع الردود القرآنية عليها.

3ـ منهج الأنبياء في الدعوة والتوجيه، د. علي محمد الصلابي، ليبيا. والدراسة: تحليل تاريخي لسير الأنبياء واستخلاص القواعد الدعوية،و تحديد خصائص المنهج النبوي في الدعوة بشكل عام.

4ـ الحوار مع الملحدين في ضوء القرآن، د. عبد الله العجيري، السعودية. والدراسة: تحليل تطبيقي لنماذج الحوار القرآني، و تحديد آليات وأساليب الحوار الناجح مع الملحدين.

يتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة بما يلي:

1ـ التركيز على الجانب التطبيقي لأساليب الأنبياء في مواجهة الإلحاد.

2ـ الربط بين المنهج النبوي والتحديات المعاصرة للإلحاد.

3ـ الاستفادة من القصص القرآني لمواجهة الإلحاد المعاصر.

وهو ما يسعى هذا البحث إلى سدّه من خلال التركيز على الأساليب النبوية في مواجهة الإلحاد وتحليلها تحليلاً تطبيقياً معاصراً.

هيكل البحث: وقد حرصت على أن يتكون من أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: مدخل إلى البحث، (تعريف المصطلحات، استعمال القرآن للفظ الإلحاد)

المبحث الثاني: أسلوب الحوار مع دعاة الإلحاد.

المبحث الثالث: أسلوب الإقناع بالأدلة العقلية.

المبحث الرابع: أسلوب مواجهة دعاة الإلحاد بدحض شبهاتهم.

المبحث الأول:

مدخل إلى البحث، (تعريف المصطلحات، استعمال القرآن للفظ الإلحاد)

تعريف الأسلوب:

الأسلوب يجمع على «أساليب» وهو الطريق، والوجه، والمذهب، يقول ابن منظور: يقال للسطر من التخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء ... والأسلوب الطريق تأخذ منه، والأسلوب الفنن يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي في أفانين منه[1].

والمراد بأسلوب الأنبياء هنا ما بلغت به أوامر الله تعالى وإرشاداته إلى المدعوين وهو لا يخرج عما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وله تعاريف منها: أنه كلمات مناسبة في مواضع مناسبة. أو هو الفن البياني الذي غايته قوة الأداء مع الصحة، وسمو التعبير مع الدقة وإبداع الصورة وجمالها[2].

تعريف الإلحاد لغة واصطلاحا:

أولا الإلحاد لغة:

مأخوذ من مادة (ل ح د) وهو الميل، ومنه سمي اللحد لأنه يحفر في جانب القبر، و(ألحد) في دين الله أي حاد عنه وعدل، والملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه، قد ألحد في الدين ولحد، وقرئ: (يلحدون إليه) و(يلحدون) أي: يميلون[3].

ثانيا الإلحاد اصطلاحا:

قال الكفوي: "الإلحاد هو الميل عن الحق"[4]. وهذا أقرب إلى أن يكون تعريفا لغويا. ومن الممكن أن نقتبس ممّا ذكره المفسرون تعريفا اصطلاحيا فنقول: الإلحاد: هو الميل عن الحق والعدول عنه فيما يتعلق بأسماء الله تعالى أو آياته الكرام في دلالتها أو بيته الحرام أو فيمن تنزلت عليه.

ويمكن أن نلحظ ارتباطا ظاهرا بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، وذلك أن معنى الالحاد في اللغة هو الميل، وهو المراد كذلك في المعنى الاصطلاحي، والذي هو الميل عن الحق والعدول عنه.

أما التعريف الاصطلاحي المعاصر للإلحاد، فقد عُرّف بأنه: "إنكار الخالق سبحانه والغيب والنبوات والبعث والحساب"[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، 2058/3.
(2) وحي القلم، الرافعي، 14/1.
(3) تهذيب اللغة، ابن فارس، 243/4، الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري، ص:228.
(4) الكليات، الكفوي، ص:490.
(5) بصائر في نقد الإلحاد، هيثم طلعت، ص:28.

وبالمقارنة بين المعنى الاصطلاحي لكلمة الالحاد والمعنى المعاصر له، نجد فرقا واضحا من خلال المعنى، فالملحد بالمعنى المعاصر ليس هو فقط من يميل عن الحق ويعدل عنه، بل هو من ينكر وجود الله أصلا، وهو نفس معنى الإلحاد القديم الذي قصه الله علينا في كتابه من خلال قصتي سيدنا إبراهيم وموسى عليهما السلام من المنكرين للخالق سبحانه.

وهم على هذا النوع الأخير من الإلحاد قسمان في الجملة:

قسم: أنكر الخالق وادعى لنفسه الربوبية، كفرعون والنمرود.

وقسم (معاصر) يرون: "أن الكون وجد بلا خالق، والمادة أزلية أبدية، وتغيرات الكون تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها وتطورها الذاتي"(1).

وعلى هذا فالإلحاد في القسمين الأخيرين يعني: الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، والتكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط.

استعمالات القرآن الكريم للفظ الإلحاد:

هناك أربعة مواضع في كتاب الله تعالى، ذكر فيها (الإلحاد)، وهي كما يلي:

الموضع الأول: استعمل الإلحاد بمعنى الميل والعدول في أسماء الله عن الحق الثابت فيها.

قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:180]، فالآية تشير إلى أن الإلحاد يكون في أسماء الله الحسنى، وذلك إما بجحدها وإنكار معانيها، وإما بتحريفها وتعطيلها عن الحق الثابت فيها بالتأويلات الباطلة، وإما بتسمية الأصنام المصنوعة بأسمائه تعالى.

الموضع الثاني: استعمل الإلحاد، بمعنى الميل عن الحق والصواب في آيات الله.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ} [فصبت:40]، "والمقصود أن آيات الله الشرعية منها والكونية قد أُلحد فيها، إما بإنكارها وجحودها وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها ما أرادها الله منها"(2).

الموضع الثالث: استعمل بمعنى إمالة الشيء عن وجهه الحق إلى وجه باطل، والميل بالناس عن اتباع الحق وسلوك طريقه. قال تعالى: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل:103] والمعنى: "ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إنما يُعلّمُ محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله"(3). وقد كذبهم القرآن في قولهم هذا: بأن لسان الذي تلحدون إليه ـ أي: تميلون إليه وتنسبون إليه أنه يُعلّم محمدا ـ أعجميّ، وهو لسان عربي مبين.

(1) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، اللويحق ص:409.
(2) انظر: تفسير السعدي، السعدي 750/1.
(3) تفسير الطبري، الطبري، 298/17.

الموضع الرابع: واستعمل بمعنى الميل من أمر مشروع إلى أمر مخالف للشرع.

قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[الحج:25] وقد قرن الله تعالى الإلحاد في هذه الآية بمكان معين ـ وهو حرم مكة ـ، ويتسم بصفة وصفها به وهي (الظلم)، أي: الميل بظلم، وهي مخالفة الأوامر التي أوجبها الله وارتكاب المعاصي، وهذا ظلم للنفس، كما قال تعالى: [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] [لقمان:13].

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى الأمور الآتية:

1ـ أن الإلحاد هو: الميل عن الحق. وهذا أقرب إلى أن يكون تعريفا لغويا.

2ـ الإلحاد في استعمالات المفسرين ـ كما استنبطوها من ألفاظ الإلحاد التي وردت في القرآن ـ هو: الميل عن الحق والعدول عنه فيما يتعلق بأسماء الله تعالى، أو آياته الكرام في دلالتها، أو بيته الحرام، أو فيمن تنزلت عليه. وهذا تعريفه الاصطلاحي.

3ـ وهناك تعريف آخر مستنبط من عموم التعريفين السابقين: اللغوي والاصطلاحي ـ في استعمالات المفسرين ـ خلاصته أن الإلحاد هو: إنكار وجود الله أصلا في ذاته وصفاته، وإنكار النبوات، واليوم الآخر.

وهنا ملاحظة هامة: وهو أنه يوجد فرق بين التعريف اللغوي للإلحاد، والتعريف الاصطلاحي، فالتعريف اللغوي للإلحاد هو: الميل، وبالتالي يدخل تحت هذا التعريف: أصحاب الفرق الضّالّة كالمعطلة وغيره، لذلك فورود كلمة ملحد في كتب المتقدمين لا تعني المفهوم الاصطلاحي المعاصر للإلحاد، والذي يعني إنكار الخالق والنبوّات، لكنها تعني نوعا من الانحراف في باب من أبواب العقيدة كباب: الأسماء والصفات.

ثانيا– الإلحاد في القديم والحديث:

1 .الالحاد في القديم. أما الإلحاد في القديم فقد أنكرت طوائف من بني آدم توحيد الله عز وجل وعطلت المخلوق عن خالقه وهذه الطوائف هي:

أ– الدهرية: كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية:24]، وقد ذهبوا إلى ترك العبادات رأساً؛ لأنها لا تفيد، وإنما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه.[1] قال ابن القيم: "هؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم في الذكر الحكيم"[2].

ب – الطبائعيون: لما رأى إبليس قلة موافقيه على جحد الصانع لكون العقل شاهده بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة.

---

(1) الدهرية: فرقة تقول بقدم الدهر أي بأزليته واستناد الحوادث إلى الدهر. انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، 125/1.

(2) شفاء العليل، ابن القيم، ص:54.

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.120

جـ- الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى إنه لا صانع للعالم، وأطلق عليهم دهرية الفلاسفة.

وبالجملة فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله.[1]

وممن جحد التوحيد ونازع فيه (فرعون) فهو أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع، ولقد أخبر الله عز وجل عن جحوده، فقال:{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات:24] وأيضاً ذكر الله عز وجل قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص:38].

2 .الإلحاد المعاصر. ظهر الإلحاد في العصر الحديث على إنكار وجود الله أصلاً وزعموا أنهم وصلوا إلى ذلك عن طريق العلم والبحث المحسوس وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك. ومن المذاهب الفلسفية التي ظهرت في الغرب ثم انتقلت إلى الشرق:

أ- الشيوعية: وهي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وإنكار الخالق ويعتبر المادة هي أساس لكل شيء،[2] وقد وضع أسسه الفكرية والنظرية (كارل ماركس) اليهودي الالماني عام (١٨١٨م – ١٨٩٣م).

ب- الوجودية: وهي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وانكار الخالق ويعتبر الوجود الإنساني هو المشكلة الكبرى، والتجربة الإنسانية هي منبع المعرفة وأساس البحث عندهم،[3] ومن أبرز زعمائها المعاصرين جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي، ١٩٠٥م.

وعلى العموم فالإلحاد المعاصر فرق كثيرة، ومذاهب متنوعة فهناك:

الملحد: وهو الذي ينكر وجود الغيبيات التي تقول بها الأديان.

وهناك الربوبي: وهو الشخص الذي يؤمن بوجود خالق لهذا العالم لكنه يكفر بالأديان.

وهناك اللّاأدري: وهو الشخص الذي لا يستطيع أن يجزم بصحة وجود الخالق، ولا يستطيع أن يجزم بعدم وجوده، فهو شخص متوقف.

وهناك اللّااكتراثي: وهو الشخص الذي لا يبالي بالقضية الدينية، وقضية وجود الخالق.

وهناك الهيومي: وهو شخص يهتم بالإنسان فحسب.[4]

(1) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، 210/4. الملل والنحل، الشهرستاني، 35/2.
(2) الشيوعية في الميزان، الغزالي، ص:23 -25.
(3) نقد الوجودية، بدوي، ص:45 -48.
(4) بصائر في نقد الإلحاد، ص:27

المبحث الثاني

أسلوب الحوار مع دعاة الإلحاد

المتأمل في منهج القرآن الكريم يلحظ بأنه قد احتوى على أفضل الأساليب، وأحكم المناهج وأقوى الحجج في حواراته ومجادلاته مع الملحدين قديما وحديثا. ولا عجب، فالقرآن الكريم ما جاء في الحقيقة إلاّ لهداية الناس لكي يحتكموا إلى الصواب والحق، وإلى أن ينتهوا ويسلكوا الطريق السوي الصحيح، ألا وهو طريق الحوار العقلي المجرد عن اتباع الهوى؛ لأنه أقرب طريق يوصل إلى الحق ويبعدهم عن طريق التعصب واستخدام القوة في تسوية الخلافات العقائدية والاجتماعية.

الحوار يعرف بأنه: "مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[1].

والحوار بمفهومه الواسع يضم المناظرة والمجادلة والمحاجّة والمناقشة، فالحوار أعم منها جميعا.

والحوار مع الخصم جاء في القرآن الكريم بأسلوب يقوم على مخاطبة العقل والعاطفة معا، والدعوة بالتي هي أحسن؛ لبيان الحق وإقامة الحجة، كما في قوله تعالى: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه:43-44].

منهج الدعوة بالحسنى هو أحد أساليب الأنبياء في مواجهة الملحدين.

إن هذه البشرية من صنع الله عز وجل لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يصفه سبحانه وتعالى. وقد حاور القرآن الكريم أحد أكابر الملحدين في التاريخ، وأرشد الله نبييه المرسَلَين إليه بدعوته بالحسنى ولين الكلام معه، فقال تعالى ـ لموسى وهارون عليهما السلام ـ أن يتلطفا من فرعون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه:44). يقول سيد قطب: "اذهبا إلى فرعون فقد طغى وتجبر وعتا {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا}، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.

اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار"[2].

وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون. فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء.

وَفَصَّل القول في ذلك فخر الدين الرازي في تفسيره فقال: "المسألة الخامسة: قال أهل التحقيق: كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن

(1) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، السهلي، ص:15.
(2) الظلال، سيد قطب، 2788/5.

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.120

يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه:44]، أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:159] الآية، وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:125]، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة:83]"[1].

وفي كيفية إجراء الحوار مع دعاة الإلحاد خاصة، يرشد الله تعالى نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام ويزودهما بهدايات قد تنفع مع الخصم في حوارهم معه ومجادلته، والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد- مع علمه بأنه لا يؤمن- إلزام الحجة، وقطع المعذرة، وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات. وحصل البلاغ المبين.

وأول هذه الهدايات:

ـ أسلوب الحوار الهادئ اللين والمجادلة بالحسنى:

اللين في القول والمعاملة من شعار الدعوة إلى الحق، كقال تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:125]، وقال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ} [آل عمران:159]، ومن اللين في دعوة موسى لفرعون قوله تعالى: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات:18-19] وقوله: {وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه:47]، إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة.

ـ أسلوب التذكير بعاقبة الاستمرار في الكبر والجحود:

فإذا لم ينفع اللين مع المدعو وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه، كما قال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت:46]، وفي ظلال هذه الآية: جاء التوجيه بمجادلة أهل الكتاب بقدر ما يسمح به رجاء الاهتداء من طريق اللين، فإن هم قابلوا الحسنى بضدها انتقل الحكم إلى الاستثناء الذي في قوله: {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}، والذين ظلموا منهم هم الذين كابروا وأظهروا العداء للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وأبوا أن يتلقوا الدعوة فهؤلاء ظلموا النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين حسدا وبغضا إلى أن جاء الإسلام بنسخ شريعتهم، وجعلوا يكيدون للنبيء صلى الله عليه وسلم ونشأ منهم المنافقون وكل هذا ظلم واعتداء.

وهنا قال موسى وهارون: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [طه:48]، أي

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، 154/3.

خبر من عند الله لا من عند أنفسنا {أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} "أي كذب بأخبار الله وأخبار رسله وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم وهذا فيه الترغيب لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما والترهيب من ضد ذلك ولكن لم يفد فيه هذا الوعظ والتذكير فأنكر ربه وكفر وجادل في ذلك ظلما وعنادا"[1].

والمقصود أن البلاغ المبين لا يتحقق إلا في ظل حوار هادئ يستميل الخصم ويروضه، {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}. فإذا لم يجد نفعا وأصبحت الاستجابة صعبة أو مستحيلة من الخصم انتقل المحاور إلى ما يتضمن التهديد والتذكير بالعاقبة السيئة.

ومن خلال الآيات السابقة يتبين أن المحاور هو من يقدر الموقف، ويقيّم الخصم، ويضع التصور المناسب ثم المعالجات لسيل الشبهات القائمة، وهذا ما يحتاجه الداعية الإسلامي اليوم لمحاورة الملحدين في عصر الإلحاد والانحراف العالمي.

إن دراسة أساليب الأنبياء في مواجهة الملحدين في ضوء آيات القرآن الكريم أصبحت ضرورة دعوية في وضع عسرت فيه استجابة الملحدين اليوم، خاصة مع تنوع أساليبهم واختلاف صورهم، وكثرة شبهاتهم ومكرهم بالليل والنهار، بل واعتمادهم على مراكز قوى عالمية تمدهم بأنواع الدعم المادي والمعنوي كما قال تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} [الأعراف202].

وجوب الحوار والمجادلة مع دعاة الإلحاد:

وقد جاء جدال الكفار في قوله تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:125]، وقوله سبحانه: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت:46]. وهي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2]. قال ابن حزم -رحمه الله- "وهذا حديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله... والله عز وجل قد يدفع بالحجة واللسان ما لا يدفعه بالسنان قال العلامة ابن حزم -رحمه الله-: "ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة"[3]. قال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} "أي: إلا بالخصلة التي هي أحسن وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة. {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم"[4]. والمتأمل في القرآن يجد أنَّ معظم القضايا التي جادل القرآن فيها أهل الكتاب تدور على محورين: 1- توحيد الله وعبادته.

2- إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص:506.
(2) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، عن أنس بن مالك، 124/3.
(3) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، 125/1 و 171/4
(4) فتح القدير، الشوكاني، 554/4.

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.120

المبحث الثالث

أسلوب الإقناع بالأدلة العقلية

القرآن الكريم غنيّ بالأدلة العقلية والاستدلالات المنطقية والحجج القوية والبراهين الناصعة على وجود الله تبارك وتعالى، وقد وردت هذه الأدلة العقلية في القرآن الكريم إما بصورة مباشرة أو في صورة حوار ومجادلة بين الأنبياء وقومهم بما فيهم الملحدين منهم.

ومن البديهي أن الملحدين لا يتأثرون بالأدلة السمعية الخبرية، بل لا يعتبرونها إلا من قبيل الهذيان والخرافة، وفي المقابل قد يخضع بعض الملحدين للأدلة العقلية إذا أُحسن عرضها عليهم.

ومع قلة الملحدين المنكرين للوجود الإلهي في التاريخ القديم، بخلاف ما هو عليه في هذا العصر، إلا أن الآيات القرآنية جاءت في معالجة قضية الإلحاد في وجود الله، وفي خصائص ربوبيته، حاسمة، ومحكمة، وداحضة للفكر الإلحادي من الأصول والجذور، فالأدلة والبراهين العقلية على وجود الله وإفراده، والمجادلات القرآنية مع الملاحدة هدمت أركان الإلحاد وهدت بنيانه.

وهذا الأسلوب ـ العقلي ـ من أفضل الأساليب القديمة والحديثة في إقناع الخصم ممن لا يقيم للدلائل السمعية والخبرية وزنا، ولا يعترف بها أصلا. وهو أسلوب قرآني فريد في بابه حيث يستدعي الفطرة ويستثمر العقول. ومن أشهر ما استدل به من الأدلة العقلية: برهان الفطرة، وبرهان الخلق.

أولا دليل الفطرة:

الفطرة: هي الخلقة التي خلق الله عليها الخلق، وجعلهم مفطورين عليها، حيث إن المولود يولد وفي تكوينه الطبيعي يقر بوجود خالق مدبر لهذا الكون، وهذه المعرفة الربانية من العلوم الضرورية التي جبلت عليها النفوس البشرية.[1]

إن الفطرة السليمة تشهد بوجود الله جل جلاله، والاستدلال على الله بالفطرة يعد من أول الأدلة على وجود الله، وباقي الأدلة تأتي مؤكدة ومرسخة لما فطر الله عليه الخلق.

{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم:10] "قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ، أدخلت همزة الإنكار على الظرف؛ لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك. أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه. وأشاروا إلى ذلك بقولهم: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}"[2]. هكذا كان جواب الرسل والأنبياء عليهم السلام على أقوامهم الذين شكوا في ربهم. ووجه الدلالة في الآية: كيف يحدث الشك فيمن وجوده مترسخ في النفوس، وفطرت عليه المخلوقات، باستفهام تقريري، ويشتمل الاستفهام: الشك في وجوده، أو الشك في أحقيته بالعبادة دون ما سواه، وأن من شك في ذلك فهو مكابر معاند.

(1) هناك خلاف بين العلماء في المراد بالفطرة، وللتوسع ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، المجلد الرابع والسابع والثامن، وشفاء العليل، ابن القيم، الباب الثلاثين.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، البيضاوي، 194/3.

قال ابن القيم: "طرق العلم بالصانع فطرية ضرورية، ليس في العلوم أجلى منها، وكل ما استدل به على الصانع، فالعلم بوجوده أظهر من دلالته، ولهذا؛ قالت الرسل لأممهم {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلة التي على اختلاف أنواعها، ولا يطيق حصرها إلا الله، ثم ركز ذلك في الفطرة، ووضعه في العقل جملة،ثم بعث الرسل مذكرين به"[1].

وفي هذه الآية حجيتان على من يشكك في وجود الله عز وجل:

الأولى: الفطرة؛ وذلك في سؤالهم: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} فهو استفهام تقرير مفاده النفي، وهي حجة من داخل النفس بسؤال الفطرة، واستنكار أن يكون هناك شك في ألوهيته سبحانه أو وجوده.[2]

الثانية: العقل؛ وذلك في قوله: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهذه حجة من خارج النفس، بدلالة الخلق على الخالق، وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر، فلا يمكن التشكيك في وجوده وآثار خلقه في السماوات والأرض.

إن معرفة الخالق والإقرار بوجوده تبارك وتعالى وربوبيته أمر بدهي مغروس في نفوس الناس وفطرهم، إذ لو ترك الإنسان في مكان خال لا يوجد فيه أحد، بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية، وعن كلّ الشوائب العقدية، لاستطاع بفطرته أن يعرف أن لهذا الكون خالقا مدبّرا ومتصرفا، ثم بفطرته يتوجه لمحبة خالقه.

ومن هنا نعلم أنّ من أنكر وجود الخالق جلّ جلاله من الملحدين إنّما أوتوا من انحراف فطرهم، ومن تأثير الشياطين عليهم، وتلاعبهم بهم. وقد عزا القرآن الكريم هذا الإنكار إلى التكبر والعناد، فقال: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} [المؤمنون: 45-47]، وأوضح ذلك أكثر فقال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل:14].

ودليل الفطرة هذا دلّ عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (الروم30)، فالمقصود بالفطرة هنا الإسلام، فالله جل جلاله فطر الناس على دين الإسلام والتوحيد. ومن أجل أهمية الفطرة في دلالة الناس على ربهم وتعريفهم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح أو أمسى يقرر أنه يصبح ويمسي على هذه الفطرة، فطرة الإسلام، وأنها لم تتأثر بالمؤثرات والعوارض الخارجية من نزغات الشياطين ووساوسهم، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أصبح وإذا أمسى قال: «أصبحنا ـ أو أمسينا ـ على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما وما كان من المشركين»[3]. "ومعنى: (وعلى ملة أبينا إبراهيم

(1) مفتاح دار السعادة، ابن القيم 280/1.
(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 16/ 339.
(3) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، عن أبي هريرة، 371/12، برقم: 7796، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال محقق المسند الشيخ/ شعيب الأرناؤوط.

حنيفا مسلما)، أي: مائلا عن كل ما يخالف هذه الفطرة من الأديان والعقائد الفاسدة، التي تنكر الرب سبحانه وتعالى، أو تزعم أن معه شريكا في ملكه أو عبوديته إلى الإسلام الخالص"[1].

ثانيا: دليل الخلق:

دليل الخلق من أوائل الأدلة والبراهين التي يستدل بها على وجود الله ووحدانيته، وقد ورد ذكرها في القرآن فيما يزيد عن مئتي آية. حتى لا تكاد تخلو سورة من إشارة إلى الخلق والإيجاد.[2]

والخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في معنيين:

1ـ إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام:1] أي أبدعهما وأوجدها على غير أصل سابق.

2ـ إيجاد الشيء من الشيء، قال تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الزمر:6][3].

والخلق والإيجاد من العدم إلى الوجود، وإبداع الشيء بعد أن لم يكن خاصية لا يملكها إلا الخالق العظيم. وقد واجه به القرآن دعاة الإلحاد كما قال سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ "أما مواجهة دليل الخلق ودليل الحياة للوثة الإلحاد، فهي مواجهة قوية لا يجد الملحدون إزاءها إلا المماحلة والمغالطة والالتواء، إن وجود هذا الكون ابتداء، بهذا النظام الخاص، يستلزم ـ بمنطق الفطرة البديهي، وبمنطق العقل الواعي على السواء ـ أن يكون وراءه خالق مدبر. فالمسافة بين الوجود والعدم مسافة لا يملك الإدراك البشري أن يعبرها، إلا بتصور إله ينشئ ويخلق ويوجد هذا الكون"[4].

الله ـ عزّ وجل ـ يتحدى الملحدين بتقرير مبدأ الخلق:

فقد أقام الله عزّ وجلّ الحجة العقلية الدامغة على الملحدين والمشركين، وتحدى عقولهم وكل قواهم التي تصبّ في الإلحاد أو ادّعاء الشريك؛ وذلك من خلال تقرير مبدأ الخلق في قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور:35-36]، وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور:35-37]، كاد قلبي أن يطير.[5]

"فهذه الآية تنفي شبهة مبدأ الإلحاد من خلال الإلزام بوجود خالق، إذ إنهم لم يخلقوا من غير خالق، فكل مخلوق له خالق"[6]. "ففي قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} بيان واضح بأن

(1) قصة بدء الخلق، الصلابي، ص:40.
(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، (مادة: خلق،)، ص: 244-248.
(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:296، بتصرف.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، 1034/2.
(5) صحيح البخاري، البخاري، 96/2، رقم: 764، باب: القراءة في المغرب بسورة الطور.
(6) قصة الخلق في التوراة والقرآن، الخرعان، ص:170.

وجودهم من غير شيء أمر ينكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل، أما أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدّعوه ولا يدعيه مخلوق. وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة فلا تبقى إلا الحقيقة التي يقررها القرآن؛ وهي أنهم جميعا من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء، فلا يجوز أن يشاركه أحد في الربوبية والعبادة، وهو منطق واضح بسيط"[1].

وقد قرر القرآن العظيم بطلان الجدل والشبهات المثارة حول (نشأة الكون) بأوجز عبارة وأحسن إشارة، في قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} ، فأما أن يكونوا قد خلقوا من غير شيء، فهذا محال وباطل بالبداهة والعقل؛ لأن وجود الشيء بعد عدمه دليل على افتقاره إلى سبب موجد أوجده، وإما أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم، وهذا أيضا محال ممتنع؛ لافتقاره إلى موجد وصانع، يبقى الخيار الأخير: أن هناك صانعا خلقه وأبدعه، وهو الإله العظيم الخالق لكل شيء. وإذا قوبلوا بمثل هذه القسمة العقلية؛ لا يسعهم إلا الاعتراف والتسليم بوجود الخالق أو المكابرة والعناد.

إن أدلة إثبات وجود الخالق جلّ جلاله؛ كدليل الفطرة والعهد، ودليل الخلق، وجميع الأدلة الأخرى، تثبت أن هذا الكون لم ينشأ مصادفة ولم يوجد اعتباطا ولم يكن دون قصد.

(1) في ظلال القرآن، 3400/6.

المبحث الرابع
أسلوب مواجهة دعاة الإلحاد بدحض شبهاتهم

تمهيد:

تعريف الشبهة: الشبهة لغة: مأخوذة من الجذر اللغوي «شبه»، الذي يدل على التماثل والتشابه بين الأشياء. قال ابن فارس: «الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَبَهٍ وَمُمَاثَلَةٍ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ»؛ أي أن الشبهة هي ما يشابه الحق ويلتبس به[1].

«والشبهة هي الأمر الذي يشبه بعضه بعضًا، ويتردد فيه الناظر بين طرفين، فلا يدري أيهما يريد»[2].

وقد ورد لفظ الشبهة في القرآن الكريم في مواضع عدة بمعنى الالتباس، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} [البقرة:70].

الشبهة اصطلاحًا:

«هي التباس الحق بالباطل على وجه يصير فيه الباطل متزينًا بزينته، فيُقبل ويُلبس ثوب الحق فيُظن أنه حق»[3].

وعرفت أيضا بأنها: «كل ما يورده الخصوم لإبطال الحق ونصرة الباطل، معتمدة على مغالطات أو تأويلات فاسدة»[4].

دور دعاة الإلحاد في نشر الشبه والدعوة إلى إلحادهم والصد عن سبيل الله قديماً وحديثاً[5]:

أولا: دورهم في القديم:

ـ استخدام التأثير الثقافي والفلسفي:

دعاة الإلحاد في القديم مثل فرعون والنمرود عمدوا إلى التشكيك في وجود الله عبر القوة المطلقة التي ادعوها لأنفسهم، واستخدام الجدل العقلي والمغالطات الفلسفية لإرباك دعاة الحق، مثل قول فرعون: { وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الشعراء:23]

ـ زرع الشبهات العقائدية:

وكانوا يعتمدون على استغلال الجهل والضعف الإيماني لنشر شبهات تتعلق بالخالق أو الغيبيات، كما فعل النمرود في جداله مع إبراهيم عليه السلام حين ادعى القدرة على الإحياء والإماتة.

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 219/3.
(2) المفردات في غريب القرآن، ص:449.
(3) إعلام الموقعين، ابن القيم، 345/1.
(4) شرح الكوكب المنير، لابن النجار، 67/2.
(5) ينظر: الإلحاد مشكلة نفسية، د. عمرو شريف، 72-85، وموقف ابن تيمية من الفلاسفة والمناطقة، والإلحاد الجديد، سامي عامري، ص:55-70، وصناعة الإلحاد، إبراهيم السكران، ص:120-135.

ثانيا: دورهم في العصر الحديث:

ـ الترويج للإلحاد:

1ـ العلمي: مع ظهور الثورة العلمية، استغل دعاة الإلحاد قضايا مثل نظرية التطور، والنسبية، وتفسيرات الكون المادية للتشكيك في وجود الخالق، مدعين أن العلم يغني عن الدين. ومن ذلك أنهم روجوا لفكرة أن الكون جاء نتيجة الصدفة العشوائية أو انفجار عظيم دون الحاجة إلى خالق.

2. الإلحاد الفلسفي: تبنوا المذاهب الفلسفية التي تنكر المطلقات، مثل الوجودية والمادية الجدلية، لترويج الإلحاد.

جادلوا بأن الإنسان هو مركز الكون ولا يحتاج إلى الإيمان بالغيب.

ـ استراتيجية نشر الشبهات والصد عن سبيل الله: فهم يقدمون الشبهة كحقيقة: يبدأ دعاة الإلحاد بعرض الشبهات على أنها حقيقة علمية أو فكرية، مستخدمين مصطلحات معقدة لإرباك المتلقي.

3. نشر الإلحاد العاطفي: استغلوا المعاناة الإنسانية لترويج الإلحاد، مثل الحروب والكوارث، بادعاء أن وجود الشر ينفي وجود الإله.

لقد كان دعاة الإلحاد عبر التاريخ مصدرًا رئيسًا لنشر الشبهات والصد عن سبيل الله، من خلال اعتماد الجدل والمغالطات، وقد أشار القرآن الكريم أنها سنة الأولين من دعاة الإلحاد حين نقل ما دار بين موسى عليه السلام وفرعون داعية الإلحاد.

شبهة والرد عليها:

قال الله تعالى على لسان فرعون: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} [طه:51]، جاءت هذه الشبهة في سياق حوار فرعون مع موسى عليه السلام عندما دعاه موسى إلى الإيمان بالله وتوحيده. سأل فرعون: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى}ى، مستهدفًا صرف النقاش عن قضية الإيمان إلى التشكيك في مصير الأمم السابقة التي ماتت على الكفر، وبالتالي الإيحاء بأن دعوتك يا موسى لا أساس لها إن كانت تلك القرون قد هلكت.

رد القرآن الكريم:

جاء رد موسى عليه السلام واضحًا وموجزًا في قوله تعالى: {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى } [طه:52]. وهذا الرد تضمن عدة نقاط أساسية:

1. إرجاع العلم إلى الله:

موسى عليه السلام بيّن أن أمر القرون الأولى، من إيمانهم وكفرهم ومصيرهم، هو علم عند الله وحده. وهذا صرفٌ للشبهة إلى قضية ربانية لا شأن للبشر بها.

2. التأكيد على علم الله الشامل:

أشار موسى إلى أن الله قد أحصى أعمال الأمم السابقة في كتاب لا يضلّ ولا ينسى، مما يؤكد شمول

علم الله ودقته.

3. إبراز عجز فرعون عن مجادلة الحق:

موسى لم يترك فرعون يستمر في التشكيك، بل أعاد الحوار إلى أصله، وهو إثبات أن الله هو الرب الخالق والمدبر.

نماذج من مواجهة الأنبياء لدعاة الإلحاد، وأسلوبهم في دحض شبهاتهم:

إبراهيم عليه السلام في مواجهة (النمرود)[1]:

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة:258].

الشبهة الأولى قوله: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}. وهذا ادعاء من النمرود للربوبية، بحكم أنه يملكهم ويتصرف في أمورهم؛ فهو ربهم.

مضمون الشبهة: ما دمت أنا الحاكم والسيد، والقادر على إنفاذ الأوامر، المتصرف في شؤونكم؛ فإذن أنا الرب الذي يجب أن تخضعوا لطاعته، وتسلموا لحكمه.[2] وهذه من أكبر الشبهات المشهورة عن ملك بابل الذي سجل القرآن والتاريخ مقالته، ومقالة فرعون.

قال صاحب مفاتيح الغيب ـ مفسرا للآية السابقة ـ: «اعلم إنه تعالى ذكر هاهنا قصصا ثلاثة: الأولى: منها في بيان إثبات العلم بالصانع»[3].

وقال ابن كثير: «هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل: نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره»[4].

«ومعنى قوله: { أَلَمْ تَرَ } أي: بقلبك يا محمد { إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ } أي: [في] وجود ربه. وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره كما قال بعده فرعون لملئه: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي } (القصص:38) وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره، وطول مدته في الملك؛ وذلك أنه يقال: إنه مكث أربعمائة سنة في ملكه؛ ولهذا قال: { أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ} وكأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: {رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ}، أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو

(1) هو ملك بابل: نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 256/1.
(2) منهج القرآن في دحض شبهات الملحدين، أفنان بيت حمد، ص:113.
(3) مفاتيح الغيب، للرازي، 20/7، وما بعدها بتصرف
(4) تفسير ابن كثير، 216/2.

إلى عبادته وحده لا شريك له. فعند ذلك قال المحاج –وهو النمروذ–: {أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ}»[1].

وقد تلخص أسلوب نبي الله إبراهيم عليه السلام في مواجهة الطاغية منكر أهم صفة من صفات الله عز وجل ـ وهي صفة الإحياء والإماته ـ، وهذه الشبهة مستنبطة من قول إبرهيم عليه السلام: {رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ} [البقرة:258]. وهي توحي بأن الملك طلب من إبراهيم عليه السلام الدليل على ربه، فأجابه بهذا القول، وقد قرر المفسرون: أنها جواب لسؤال سابق غير مذكور تقديره: قول الملك لإبراهيم عليه السلام: من ربك؟[2].

الجواب على هذه الشبهة: رد إبراهيم عليه السلام على هذا الطاغية ردا يرده إلى الحق، ويبصره بحقيقة أمره، ويبين له عجزه البشري الذي يمنعه من الربوبية، ويخوله للعبودية، ويقرر كذب دعواه الربوبية.

قال إبراهيم عليه السلام: {رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ} فقام إبراهيم عليه السلام بالتدليل على وجود الله بصفة من أدق صفات المولى عز وجل وهي صفة الإحياء والإماته، التي يتصف بها الله ـ جل وعلا ـ وحده دون ما سواه، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها. وهذا الأمر قد علم بالفطرة والضرورة العقلية عند جميع الخلق، وذلك بأن حدوث الحياة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، دليل على أن هناك محدثا فاعلا مريدا أحدثها وأعدمها بقدرته ومشيئته، وأنها لم تحدث بنفسها، ولا يمكن تحدث بنفسها وتفنى بنفسها، فثبت وجود رب عظيم قادر هو المحيي والمميت، وهو الذي يدعو الخليل إبراهيم إلى توحيده وعبادته.

شبهة النمرود بقوله: {قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ}. وهو ادعاء النمرود بالربوبية، بحكم أنه يملكهم ويتصرف في أمورهم فهو ربهم.

مضمون هذه الشبهة:

لما رأى الملك الطاغية (النمرود) آفاق ملكه، وقوة سلطانه، وجبروت أوامره، أعجب بحاله واغتر بما يملك، فادعى أنه الرب الذي يملكهم، المتكفل بهم وبما يصلح حالهم، الذي يملك القوة النافذة والأمر المطاع.

وهذه من أكبر الشبهات المشهورة عن ملك بابل الذي سجل القرآن مقالته، ومقالة فرعون.

وقد تلاشت هذه الشبهة في نهاية الحوار مع إبراهيم عليه السلام، وبهت الذي كفر. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [البقرة:258].

قال ابن كثير: «قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أنه أوتي بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يقتل. فذلك معنى الإحياء والإماتة»[3].

(1) نفس المصدر.
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 308/3
(3) تفسير ابن كثير، 2/2016.

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.120

ويعترض الطاهر ابن عاشور على هذا التفسير الذي ذكره ابن كثير وغيره، فيقول: «والظاهر –والله أعلم–أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: {ما علمت لكم من إله غيري} ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: {فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ} أي: إذا كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب. فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة. قال الله تعالى (6) {وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} أي: لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد»[1].

موسى عليه السلام في مواجهة فرعون:

قال الله تعالى عن فرعون: {قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الشعراء:23] وهو استفهام إنكاري تهكمي تعجبي جاء في صورة سؤال فرعون لموسى عليه السلام: من هو الرب الذي تزعم أنك مرسل من عنده؟ وذلك بسبب ما أوتي من الملك القدري الذي أدى به إلى الاستكبار والتعالي. وهو من قال لموسى وهارون عليهما السلام: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ}[طه:49] وهو صاحب الفجور والكبر والغرور في قوله: {فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ}[النازعات:24] و {مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي} [القصص:38].

مضمون الشبهة:

أن فرعون طرح هذه الشبهة لما غلبه موسى عليه السلام، بالإجابات المفعمة بالحجة، والمفحمة بالدليل، ولم يجد سبيلا، رجع إلى معارضة موسى عليه السلام في قوله: {إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الزخرف:46]، فاستفهامه استفهام إنكار وجحد[2]. وحَوَّل مجرى الحديث إلى الطعن في ماهية الدعوة وصدقها، ومن المرسِل الذي أرسل موسى عليه السلام إليه؟ وهذا السؤال ليس سؤال الباحث عن الحقيقة، الراغب في معرفتها، وإنما سؤال المستنكر المستغرب حقيقة هذه الدعوة، القاصد تهييج الملأ في دعوى موسى عليه السلام، وتشكيكا في وجود ما يدعيه، واستبعادا عن أن يكون هناك رب بعث موسى عليه السلام له ولقومه؛ فقال له: {وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الشعراء:23] وفي لفظ آخر وجه السؤال إلى موسى وهارون عليهما السلام فقال: {فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ} [طه:49] فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين اللذان تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما؟![3].

إن فرعون علم أن حقيقة الدعوة التي جاء بها موسى عليه السلام هي ربوبية الله ـ الواحد الأحد ـ للعالمين، أي: ألوهية واحدة، وعبودية شاملة، وربوبية كاملة، وهذا يعني سقوط ربوبيته على شعبه وعبوديته

(1) التحرير والتنوير، 3/48-49.
(2) انظر: تفسير القرطبي، 13/98، والصفدية، ابن تيمية، 1/242.
(3) معارج القبول بشرح سلم الوصول، الحكمي، 1/109.

لهم، وألوهيته عليهم ، وتنحيه من سلطانه وملكه، فواجهه فرعون بكل ما يملك من محاولة استهجان دعوته، ومقصده، والطعن في مطلبه، وماهية مرسله.

الجواب على الشبهة:

قد أجاب موسى عليه السلام جوابا يكافئ ذلك التجاهل والتغافل والاستكبار، وأغاظ فرعون وبيّن له أن معرفة الله أساسا مستقرة في الفطر ، وأنه أظهر من أن يسأل عنه، وأن معرفته أبين من كل معروف، وظاهرة في كل موجود. فقال: {قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ}[الشعراء:24].

ـ فهذا الجواب من أعظم المسالك التي يسلكها القرآن في مواجهة أشدّ الملحدين ودحض شبهاتهم وإلحادهم؛ لأن التذكير بالآيات والأبعاد الكونية من السماوات والأرض وما بين المشرق والمغرب، فيه إيقاظ لأصل الفطرة البشرية التي تعرف ربها، ولعلها ترجع إلى معدن فطرتها وتهتدي لخالقها.

ـ استدل موسى عليه السلام لفرعون بدلالة الأثر على المؤثر التي يوقن بها كل ذي عقل واع، ولا يشك بها ويجحدها إلا من خالط عقله ريب وعاند وتمرد عن قبول الحق.

فكانت الإجابة مستصغرة لملك فرعون، ودالة على بطلان ما يدعيه، فقد كان أقصى ما يدعيه ربوبيته على قومه، أي: أنه رب مصر وإلهها، أما رب موسى عليه السلام الذي يدعو إليه هو رب هذا الكون العظيم بأكمله الذي لا تملك منه ـ يا فرعون ـ إلا قِطرا يسير منه.

وقول فرعون: وما رب العلمين؛ متجاهلا أنه لا يعرفه فيجحده وينكره بعد مجيء الآيات الدالة على وجوده.. أشبَهُ ما يكون بقول اللادرية[1] المتجاهلين، الذي يتوقفون في إثبات وجود الله، وعن نفي وجوده، ويعتقدون أن الدين مجرد صناعة بشرية، بحجة عدم وجود دليل يثبت وجوده، وعدم وجود دليل ينفي وجوده، ولو تأملوا لوجدوا آيات الله ودلائله في الأنفس والآفاق أجلّ دليل وأوضحَه على وجوده سبحانه.

«واللاأدرية المعاصرون يتمتعون بالإلحاد (المقنع) الذي لا يقر بوجود الإله؛ نظرا لعدم وجود دليل، وأغلب الملاحدة المعاصرين من هذا النوع، فهم غير متيقنين من إلحادهم بنسبة 100%؛ لأن الفطر البشرية مفطورة على الإقرار بوجود الله، حتى أشهر ملاحدة هذا العصر البيولوجي الداروني الشهير (ريتشارد دوكنز)[2]. يقول: (لو أن هناك جدول قياس من 1 إلى 7، حيث 1 هو من يعتقد بوجود الله بنسبة 100%، و7 هو من يعتقد أن احتمال 0%؛ فأنا اعتبر نفسي في الدرجة6) »[3]. وهذا يشير إلى عدم الاقتناع بسلامة المنهج وعدم الوثوق بصحة الطريق الذي هم عليه، وذلك باعتبارهم أن

(1) واضع مصطلح اللادرية هو ((توماس هكسلي)) (1825 ـ 1895)، عالم الأحياء الإنجليزي، وهو من أشهر القائلين بنظرية التطور وأكثرهم تحمسا لها، انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص:364.

(2) (ريتشارد دوكنز) في الحقيقة ملحد يميل إلى اللاأدرية بالنسبة إلى الوجود الإلهي ولم يصل إلى الإلحاد الجازم. ولكنه ملحد شرس ضد الأديان، حريص على إعلان إلحاده والتفاخر به مع الهجوم على الدين والمتدينين والسخرية المفرطة بهم. انظر: منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين، أفنان بنت حمد ص:107

(3) منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين، ص:107

الكون كلّه مادة، ولو تأمل هؤلاء المنكرون الماديون فيما حولهم لوجدوا أن النفس البشرية بحد ذاتها دليل على مصور خالق بارئ جعلها في أحسن تقويم، وأن الآيات الدالة على وجود الله مبسوطة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما.

إن جواب موسى عليه السلام على فرعون بما يبين حقيقة رب العالمين فيه دلالة على «أن الاستدلال على ثبوت الخالق الواحد يحصل بالنظر في السماوات والأرض وما بينهما، نظرا يؤدي إلى العلم بحقيقة الواحد الممتازة عن حقائق المخلوقات»[1].

وهكذا واجه رسل الله وأنبياؤه دعاة الإلحاد قديما بمنهج من الوحي{لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}، [فصلت:42].

وإذا كان الإلحاد قديما قد ظهر في صورة أفراد لم يسلموا من السخرية والتهكم، بل لم يقتنعوا بما هم فيه أصلا إلا ظاهرا كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14]. فأما اليوم فقد أصبح الإلحاد ظاهرة عمت وطمت وتبنتها دول وحكومات. فكان من الواجب على الدعاة والعلماء وغيرهم اتخاذ أسلوب الأنبياء عليهم السلام منهجا في الدعوة إلى الله عز وجل جماعات وأفرادا، مع اتخاذ الأساليب العصرية المناسبة التي تتناسب مع الهجمة العالمية اليوم في طمس معالم التوحيد بأنواعه.

لقد ظهر الالحاد في العصر الحديث على إنكار وجود الله أصلا، وزعموا أنهم وصلوا إلى ذلك عن طريق العلم والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك، {يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ}[التوبة:30]. وقد ابتلي العالم الإسلامي في خضم هذا الموج الهادر من التحديات والشبهات والأباطيل التي تحاول هدم بنيانه وتحطيم أساسياته، بتأثر كثير من شباب المسلمين بهذه الهالة الزائفة والخطيرة في نفس الوقت، فيما يمس التطاول والتجاوز على مقام الله عز وجل.

لقد قاد كِبَر هذه الفتنة أناس من هذه الأمة يزعمون أنهم من قادة الفكر، وأعلام الأدب والصحافة وأهل الحداثة، {هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [المنافقون:4] ، هؤلاء مسخوا عقل الأمة وضميرها وفكرها ويومها ومستقبلها، لقد قالوا في مقام الله عز وجل ما يستحي منه كبار الشياطين، ووجهوا وجهتهم قبل المغرب.

(1) التحرير والتنوير (117/19).

الخاتمة وأهم النتائج :

في ختام هذا البحث الذي سلَّط الضوء على أساليب الأنبياء في مواجهة دعاة الإلحاد من خلال القصص القرآني، يمكن أن نصل إلى أهم النتائج ومنها:

ـ اتضح أن استعمال لفظ "الإلحاد" في القرآن الكريم لا يُراد به بالضرورة المعنى الاصطلاحي الحديث الذي يُقصد به إنكار وجود الله، وإنما يُستعمل غالبًا بمعناه اللغوي، وهو الميل والانحراف عن القصد والحق، ويشمل ذلك الميل في العقيدة والسلوك والقول، كالإلحاد في أسماء الله وصفاته أو في آياته.

ـ تبين أن الإلحاد ظاهرة فكرية قديمة، وُجدت منذ فجر التاريخ، وقد تطورت عبر العصور في صورها ومبرراتها وأدوات عرضها، فبينما ارتبط الإلحاد القديم بالاستكبار عن الإيمان وإنكار البعث والحساب، أصبح في العصور الحديثة يتخذ أشكالًا مؤدلجة ويستند إلى مناهج مادية وعلمانية وفلسفية، لكنه لا يخرج في جوهره عن الانحراف الفطري ورفض الحقائق الكونية والشرعية التي دل عليها العقل والنقل، مما يجعل المنهج القرآني في الرد عليه صالحًا لكل زمان.

ـ اتضح أن القرآن الكريم قد رسم منهجًا متكاملاً يجمع بين الدعوة بالحكمة، والمجادلة بالحسنى، والرد المنطقي الهادئ، مع التحذير من عواقب الجحود والاستكبار. وقد تجلت حكمة الأنبياء في التعامل مع دعاة الإلحاد قديمًا، وهو ما يصلح أساسًا لمواجهة دعاة الإلحاد الحديث.

ـ أسلوب الحوار بالحسنى كان من أبرز أدوات الأنبياء، حيث دعوا إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، مع التأكيد على عاقبة الكبر والجحود، كما في حوارات نوح وإبراهيم مع أقوامهم.

ـ أن الدليل العقلي والفطري يمثلان مرتكزين أساسيين في إقناع المنكرين بوجود الله، وقد استُخدما بشكل واضح في خطاب الأنبياء للملحدين.

ـ من أنجح الطرق، تفنيد الشبهات عن طريق الأدلة العقلية مثل: دليل الفطرة ودليل الخلق، والقرآن غني بهذا الأسلوب، الذي يتناسب مع عقلية المخاطب، كما في قصة إبراهيم مع النمرود وموسى مع فرعون.

ـ أن القرآن واجه الإلحاد بالشبهات من خلال عرض أقوال الملحدين وتفنيدها بالدليل والمنطق، وهذا الأسلوب لا يزال صالحًا لمواجهة شبهات الإلحاد الحديث.

ـ يُعد الربط بين صور الإلحاد الحديث ومواقف الإلحاد القديم كما عرضها القرآن الكريم أمرًا بالغ الأهمية، إذ يكشف أن أساليب الأنبياء التي واجهوا بها دعاة الإلحاد لا تزال صالحة وفعالة لمجابهة الشبهات المعاصرة، بل تمثل أساسًا دعويًا وفكريًا يجب الانطلاق منه لبناء خطاب إيماني يجمع بين التأصيل الشرعي والمعالجة العقلية، مما يعزز الثقة بمنهج القرآن وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ـ تبيّن من خلال استقراء القصص القرآني أن الإلحاد القديم — كما مثّلته مواقف فرعون والنمرود — كان إلحادًا متجذرًا في الكبر والهوى والاستعلاء، وليس قائماً على براهين علمية أو فلسفية متماسكة، في حين أن الإلحاد الحديث قد يتوسل بالشبهات العلمية والفلسفية المعاصرة، إلا أنه في جوهره يعيد إنتاج

الإشكالات القديمة بصيغة جديدة، مما يدل على وحدة الجذور الفكرية للإلحاد في القديم والحديث وإن اختلفت الوسائل والتعبيرات.

ـ مثَّلت قصص موسى مع فرعون وإبراهيم مع النمرود نموذجًا لمواجهة الجحود بالحجج الدامغة، كالآيات الكونية والمنطق السليم

ـ بيَّن البحث أن الإلحاد المعاصر ليس سوى امتداد لشبهات تاريخية، لكن القرآن قدم تنوعا في الأساليب النبوية في مواجهة الإلحاد، مما يدل على مرونة المنهج القرآني في التعامل مع مختلف أنواع الإلحاد قديماً وحديثاً.

ـ يتضح من تتبع أساليب دعاة الإلحاد، قديمًا وحديثًا، أن لهم دورًا نشطًا في إثارة الشبهات وبث الشكوك في نفوس الناس، معتمدين في كثير من الأحيان على مغالطات عقلية وتأويلات فاسدة للنصوص أو للظواهر الكونية، بهدف زعزعة الإيمان وتشويه الحقائق، وهو ما يُبرز أهمية تفنيد تلك الشبهات بالحجة القرآنية والعقلية، كما فعل الأنبياء في مواجهاتهم مع فرعون والنمرود وغيرهم من الملحدين والمستكبرين.

ـ تزداد أهمية مواجهة المد الإلحادي في عصرنا الحديث نظرًا لتطور أدوات الإعلام والتقنية التي باتت تستخدم في نشر الأفكار الإلحادية بشكل مكثف وفعّال، مما يستدعي من الدعاة والعلماء توظيف وسائل العصر الحديثة في الردود العلمية والمنهجية، مع الحفاظ على أسلوب الحوار بالحسنى، وإفادة الجمهور بالأدلة العقلية والنقلية المتينة، لضمان صد تأثير الشبهات وتحصين المجتمع من زحف الفكر الإلحادي.

ـ المواجهة الفكرية المنهجية ضرورة في عصرنا الحالي لردع موجات الإلحاد، مع الاستفادة من الأساليب النبوية في الحوار والإقناع.

التوصيات:

ـ يوصي الباحث: بالقيام بعمل دراستين، الأولى: دراسة معمقة لشبهة الشر في الخطاب الإلحادي، وكيف عالج القرآن هذه الشبهة الخطيرة ورد عليها. الثانية: دراسة تحليلية للأساليب النفسية في خطاب الملحدين وطرق مواجهتها في ضوء القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1- السهلي، عبد الرحمن بن معلا، (2002). *أصول الحوار وآدابه في الإسلام. الرياض: دار الوطن، ط1.
2- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (2005) إعلام الموقعين عن رب العالمين، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1.
3- عامري، سامي، (2016) الإلحاد الجديد: خرافة الإلحاد العلمي، الرياض، مركز تكوين، ط1.
4- شريف، عمرو، (2015) الإلحاد مشكلة نفسية، القاهرة: دار الشروق، ط1.
5- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، (1998). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1.
6- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (2003) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط7.
7- كرم، يوسف، (2010)تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ط2.
8- ابن عاشور، محمد الطاهر،(1984) التحرير والتنوير تونس: الدار التونسية للنشر، ط1.
9- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (2002) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الرياض: دار طيبة، ط4.
10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1999). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة، ط2.
11- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض: مؤسسة الرسالة، ط1.
12- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(2001) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ط1.
13- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد،(2006) الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3.
14- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1991)درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط2.
15- ابن النجار، محمد بن أحمد، (1993)شرح الكوكب المنير*. تحقيق: محمد الزحيلي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1.
16- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (2003) شفاء العليل الرياض: دار عالم الفوائد، ط1.
17-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (2002). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح البخاري، بيروت: دار طوق النجاة، ط1.
18- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1986) الرسالة الصفدية تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار

العاصمة، ط1.
19- السكران، سامي بن زاهد، (2015) صناعة الإلحاد الرياض: مركز تكوين، ط1.
20- قطب، سيد، (2003) في ظلال القرآن القاهرة: دار الشروق، ط32.
21- الشوكاني، محمد بن علي، (2007) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دمشق: دار ابن كثير، ط1.
23- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (1981). الفروق اللغوية تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة، ط1.
24- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (1996) الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.
25- الخرعان، عبد الله بن سليمان، (2010) قصة الخلق في التوراة والقرآن، الرياض: دار الحضارة، ط1.
26- الصلابي، علي محمد، (2012) قصة بدء الخلق، القاهرة: دار المعرفة، ط1.
27- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، (1998) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2.
28- اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، (2010) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، الرياض، دار الصميعي، ط1.
29- ابن منظور، محمد بن مكرم، (2003) لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3.
30- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (2004) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2.
31- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، (2001) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.
32- الحكمي، حافظ بن أحمد، (2007) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الرياض: دار ابن القيم، ط1.
33- عبد الباقي، محمد فؤاد، (2001)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم القاهرة: دار الحديث، ط5.
34- ابن فارس، أحمد بن فارس، (2002)، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ط1.
35- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (2000) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3.
36- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1996) مفتاح دار السعادة. تحقيق: علي بن حسن الحلبي، الرياض: دار ابن الجوزي، ط1.

37- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (2002) المفردات في غريب القرآن، دمشق: دار القلم، ط1.
38- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (2005) الملل والنحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ط2.
29- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (2004)منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1.
40- العتيبي، أفنان بنت حمد، (2018)منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين. الرياض: مركز دلائل، ط1.
41- المطيعي، محمد بن لطفي، (1992) موقف ابن تيمية من الفلاسفة والمناطقة. الرياض: دار العاصمة، ط1.
42- بدوي، عبد الرحمن، (2000) نقد الوجودية الكويت: وكالة المطبوعات، ط1.
43- الرافعي، مصطفى صادق، (2007) وحي القلم، القاهرة: دار المعارف، ط3.